

بمصالح الاقطاعيين وادت الى حروب اهلية عنيفة. ونجحت سياسته الاقطاعية هذه الى قيام ثورة في القسطنطينية ذهب هذا الامبراطور ضحيتها وهو اخر اباطرة الاسرة الكومينية عام ١١٨٥ م.

ويمثل اعتلاء اسحق الانجيلي ١١٨٥ - ١١٩٥ م السلطة في القسطنطينية انتصار الطبقة الاقطاعية وارجاع الاوضاع الى ماكانت عليه قبل حكم اندرونيقوس. وتردى الجهاز الاداري في عهده حيث اصبحت المراكز الحكومية بمساومات تجارية اشبه بسوق المزداد. ولحاجة الامبراطورية للاموال شرع الامبراطور بزيادة الضرائب فضج الاهالي وقامت ثورة في البلاد بزعامة القائد براناس ولكنها فشلت وانتهت بمقتل قائدها، واعقب ذلك موجة من الاضطهاد نزلت بانصار القائد المهزوم. لكنه نجي عن العرش بانقلاب ناجح دبره اخوه الكسيوس عام ١١٩٥ م كما اسلفنا سابقاً (١٥٤).

### الحملة الصليبية وسقوط القسطنطينية

من اشهر الاحداث التي كانت في عهد الاسرة الانجيلية (١٥٥) قيام الحملة الصليبية الرابعة التي دعا اليها وباركها البابا انوسنت الثالث Innocent.111 وكان هدفها المبدئي هو احتلال مصر، الا انها غيرت هدفها فيما بعد وتوجهت بدلاً من مصر الى القطنطينية.

ويبدو ان اسباب هذه الحملة قيام الكسيوس الثالث بالاجهاض على حكم اخيه اسحق انجيليوس عام ١١٩٥ م وعلان نفسه امبراطوراً، حكم للفترة من (١١٩٥ - ١٢١٣ م). واثناء القاء القبض على الامبراطور المعزول اسحق وابنه الامير الكسيوس تمكن الأخير من الفرار من منجته حيث لجأ الى الغرب طالباً المساعدة ضد عمه الامبراطور الغاصب. وقد حدث هذا في نفس الوقت الذي تجمع فيه جيش الحملة الصليبية الرابعة في البندقية، فانتزح البنادقة الذريعة التي

(١٥٤) راجع اليوسف - المصدر السابق - ص ١٤٧

Vasiliev, Op. Cit Vol.2, p.433-38

(١٥٥) تولت الاسرة الانجيلية السلطة عام ١١٨٥ م

قدمت لهم للتدخل في الشؤون البيزنطية، لانهم كانوا يرون انه طالما بقيت الامبراطورية في القسطنطينية فانهم لا يأمنون بقاء مراكزهم التجارية الاحتكارية في حوض البحر الابيض المتوسط. وتغلبت الوعود السخية التي بذلها الامير الكسيوس على اي وازع عند الصليبيين. فقد ذكر ان الكسيوس عرض على الصليبيين مائة الف مارك نظير مساعدته في استرداد عرش بيزنطة. كما تعهد بتبعية الكنيسة البيزنطية لكنيسة روما، وان يقوم بعد استرداده عرشه بالاشترك مع خمسمائه من خيرة فرسانه في عملية المساعمة في استرداد الأراضي المقدسة بالشام.

وبعد ان تم الاتفاق بين الامير الكسيوس والصليبيين، غادرت الحملة الصليبية الرابعة ايطاليا باتجاه القسطنطينية رغم معارضة بعض افراد الحملة وحين وصلت القوات الصليبية اسوار القسطنطينية تمكنوا من اقتحامها عنوة في ١٨ تموز عام ١٢٠٤ م. فهرب الامبراطور الكسيوس الثالث، واعيد الامبراطور السابق اسحق والى جانبه ابنه الامير الكسيوس الرابع الذي سرعان ما انفرد بالعرش (١٥٦).

ولابد من الاشارة الى انه صاحب دخول الصليبيين القسطنطينية عنوة ان عاثوا فيها فساداً وقتلاً. فقد تناسى الصليبيون انهم هاجموا بلداً مسيحياً رغم الاختلاف المذهبي — حيث قتلوا النساء والرجال ونهبوا كل ما وقع بايديهم وان الكنائس والاديرة لم تسلم منهم، حتى ان شاهد عيان تمنى لو كانت العاصمة البيزنطية سقطت بيد المسلمين بدلاً من سقوطها بيد الصليبيين بعدما ذكر النتائج الايجابية التي حصلت عليها القدس بعدما فتحها المسلمون (١٥٧) وعلى اثر ذلك لجأ الكثير من الناس ولاسيما الطبقة الارستقراطية بما فيهم رجال الدولة ورجال الدين البيزنطي الى نيقية المجاورة. كما ان الاتفاق لم يتم بين الصليبيين والامبراطور الكسيوس الرابع نظراً لعجز الاخير عن الوفاء بوعوده المالية لقادة الحملة. فانهى الامر بعزله واعدامه (١٥٨) وجلس احد القادة الصليبيين على عرش القسطنطينية وهو بلدوين امير فلاندرز (١٢٠٤ — ١٢٠٥ م) وقسمت الامبراطورية البيزنطية على القادة

(156) Campbell, Op. Cit, p. 336, 341, 351, 352-360

(١٥٧) مجموعة مؤرخين — الوطن العربي والغزو الصليبي — ص ٢٠٠ — ص ٢٠١، انظر كذلك:

Ibid, p. 366, Finlay, Op. cit, p. 321

(158) Ibid, p. 360

البيزنطيين والبنادقة. كما طرد البطريرق البيزنطي ونصب بدلاً منه اسقفاً  
كاثوليكياً (١٥٩). وقد ذكر ان الصليبيين كانوا قد توصلوا الى اتفاق فيما بينهم على  
بعض الامور قبل دخولهم القسطنطينية، في اذار عام ١٢٠٤ م واهم ماتوصلوا اليه  
هو:

- ١- تكون حصص البنادقة من الغنائم المنتظرة عند الاستيلاء على القسطنطينية  
ثلاثة ارباعها. ويوزع الربع الاخير على قادة الصليبيين، والسبب في هذه  
القسمة غير المتعادلة هو تغطية ديون الصليبيين للبنادقة، وقد وافق  
الصليبيون على احتفاظ البنادقة بكافة الامتيازات التي كانت لهم سابقاً في  
الامبراطورية.
- ٢- تؤلف لجنة لانتخاب امبراطور لاتيني من اثني عشر عضواً نصفهم من  
البنادقة والنصف الاخر من الصليبيين وان يكون للامبراطور ربع الامبراطورية  
وتقسم الثلاثة ارباع الباقية بالتساوي بين البنادقة والصليبيين.
- ٣- الاحتفاظ بالقوى العسكرية لمدة سنة بعد سقوط القسطنطينية.
- ٤- لا يجوز السماح لمواطني اية حكومة في حالة حرب مع البنادقة الدخول الى  
الامبراطورية.
- ٥- يؤدي الامبراطور القسم على احترام كافة الاتفاقات المعقودة بين الامراء  
الصليبيين من جهة وبين البنادقة من جهة اخرى.
- ٦- يؤلف الامراء لجاناً للتفاوض مع الامبراطور لتعيين الواجبات العسكرية  
المرتبة عليهم.
- ٧- تنقل الضياع الاقطاعية حسب قاعدة توريث الابن الاكبر (١٦٠).

لذلك نشأت على اراضي الدولة البيزنطية امارات صليبية غربية في  
القسطنطينية وسالونيك وغيرها الى جانب الامبراطورية البيزنطية في نيقية وبعض  
المقاطعات التابعة لها. وفي الواقع ان احداث عام ١٢٠٤ م قد اثبتت انها الضربة  
التي لم تستطع الامبراطورية البيزنطية ان تسترجع قواها كاملة بعدها.

Page 199

Page 200